Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 52, No. 5, 2025, Special Issue:
Islamic Studies and Social Sciences: Towards Integrated Knowledge I, 9864

Deanship of Scientific Research

The Negative Human Traits in Light of Surat Al-Isra: A Quranic Social Study

Rasha Wael Al-Rifai* *, Jihad Mohammad Al-Nuseirat

Department of Islamic Fundamentals, Faculty of Sharia, The University of Jordan, Amman, Jordan

Received: 26/11/2024
Revised: 28/12/2024
Accepted: 18/2/2025
Published online: 22/6/2025

* *Corresponding author:*
rasharifai9@yahoo.com

Citation: Al-Rifai, R. W., & Al-Nuseirat, J. M. . (2025). The Negative Human Traits in Light of Surat Al-Isra: A Quranic Social Study. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *52*(5), 9864.
https://doi.org/10.35516/Hum.2025.9864

© 2025 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This study aims to examine the impact of Surah Al-Isra in addressing human nature and social behavior, particularly by highlighting negative human traits.

Methods: The study identifies the human characteristics mentioned in Surah Al-Isra haste, ingratitude, despair, and miserliness and then derives the thematic unity of the Surah. It conducts a linguistic, contextual, and purposive analysis of these traits, uncovering their negative effects and the methods proposed for their refinement. The research employs inductive, analytical, and inferential methodologies.

Results: The study concludes that the central theme of Surah Al-Isra is the adherence to the Quran as a source of guidance and steadfastness in the face of adversaries. Key principles that help individuals remain resolute in moments of confrontation include exercising patience rather than acting hastily, recognizing and appreciating divine blessings rather than turning away from the Quran, maintaining hope in God's mercy instead of succumbing to despair, and avoiding miserliness - a trait that led to the downfall and humiliation of the Israelites. Consequently, the Surah warns against haste, despair, ingratitude, and miserliness as detrimental traits.

Conclusions: Surah Al-Isra frequently addresses human traits in the context of strengthening the believer against adversaries, emphasizing that human beings are the foundation of victory for the Muslim community. Therefore, individuals must undergo psychological and spiritual preparation.

Keywords: Human characteristics, Surat Al-Isra, thematic unity.

صفات الإنسان السلبية في ضوء سورة الإسراء: دراسة قرآنية اجتماعية

رشا وائل الرفاعي*، جهاد محمد النصيرات

قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن

ملخّص

الأهداف: يهدف هذا البحث إلى بيان أثر سورة الإسراء في علاج طبيعة الإنسان وسلوكه الاجتماعي، وذلك باعتبار تركيزها على صفات الإنسان السلبية.

المنهجية: رصدت الدّراسة صفات الإنسان الواردة في سورة الإسراء، وهي: العجلة، والكفر، واليأس، والقتر، وشرعت بعد ذلك في استنباط الوحدة الموضوعيّة للسّورة، ثمّ حلّلت دلالة صفات الإنسان الواردة فيها تحليلًا لغويًّا، وسياقيًّا، ومقاصديًّا، كاشفة عن آثارها السلبيّة وطرائق تهذيبها، وذلك من خلال المنهج الاستقرائي، والتحليلي، والاستنباطي .

النتائج: توصّلت الدّراسة إلى أنّ محور سورة الإسراء الرّئيس هو: الاعتصام بالقرآن الكريم، والتّثبُّت به في مواجهة الأعداء، ومن أهمّ الرّكائز الّتي تعين الإنسان على الثّبات في مواطن المواجهة: أن يصبر ولا يتعجّل، وألّا يجحد نعم ربّه بالإعراض عن القرآن مصدر الهدى والتّثبيت، وألّا ييأس ويقنط من رحمة ربّه فينهزم أمام أعدائه، وألا يتّصف بالقتر، تلك الصّفة الّتي أوقعت أمّة بني إسرائيل في الذّل والإهانة؛ لذلك حذّرت السّورة من صفة العجلة، واليأس، والكفر، والقتر .

الخلاصة: أكثرت سورة الإسراء من الحديث عن صفات الإنسان في سياق تثبيت المسلم أمام أعدائه؛ لأنّ الإنسان هو مادّة نصر هذه الأمّة؛ لذا لا بدّ أن يُعِدّ نفسه إعدادًا نفسيًّا.

الكلمات الدالة: صفات الإنسان، الوحدة الموضوعيّة، سورة الإسراء..

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، حمدًا طيّبًا كثيرًا مباركًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على النبي محمد ﷺ، أما بعد:

فقد اعتنى القرآن الكريم بالحديث عن الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض، ومن أوجه هذه العناية الحديث عن صفاته. وتتمثل أهمية تعريف الإنسان بصفاته السلبية أنها دعوة إلى معرفة مواطن الضعف في النفس الإنسانية، ثم معالجتها وتهذيبها وفق منظور القرآن.

وصفات الإنسان المذكورة في القرآن كثيرة، منها: الضعف، والقتر، والعجل، والكدح، والهلع، والكنود، واليأس، والقنوط، والكفر، والظلم، والفجور، والطغيان. وقد جاءت هذه الصفات مبثوثة في سور القرآن الكريم، وتميزت سورة الإسراء بأنها أكثر سورة تحدثت عن صفات الإنسان (نوفل، 2014م، ص126)، فذكرت أربعًا منها، وهي: (العجل، والقتر، والكفر، واليأس)، وورود صفات معينة بسورة خاصّة يدل على وجود علاقة لها أثر في فهم دلالة تلك الصفات فهمًا مقاصديًا، فجاءت هذه الدراسة للكشف عن تلك العلاقة.

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة للإجابة عن سؤال رئيس هو: ما دلالة صفات الإنسان السلبية في ضوء سورة الإسراء؟ **ويتفرع منه الأسئلة الآتية:**

1. ما الوحدة الموضوعيّة لسورة الإسراء؟
2. ما دلالة صفة (العجل، والقتر، والكفر، واليأس) وكيف عالجتها سورة الإسراء؟

وتهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن هذه الأسئلة، **وتتمثل أهمية** ذلك في النقاط الآتية:

- تكشف عن أثر سورة الإسراء في علاج طبيعة الإنسان وسلوكه الاجتماعي.
- تقدم منهجية في دراسة علاقة الصفات الإنسانية بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.
- تفيد الباحثين في مجال الدراسات القرآنية والدراسات الإنسانية.
- تبرز الترابط الموضوعي في سورة الإسراء، وجهود العلماء حولها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتدقيق لم يجد الباحثان – في حدود اطلاعهما -دراسة عنيت باستنباط دلالة صفات الإنسان في ضوء سورة الإسراء، إلا أن هناك دراسات تتحدث عن صفات الإنسان عمومًا في القرآن، ومنها:

1. ***صفات الإنسان في القرآن الكريم*** لمحمد الطيب، مجلة الاقتصاد والعلوم السياسية والإحصائية، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية،2012م. تناول الباحث فيه جملة من صفات الإنسان، ولم يعرض لسياقات ورود هذه الصفات أو علاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة التي وردت فيها.
2. **صفات الإنسان المذمومة في القرآن الكريم، وسبل التزكية منها في ضوء مصادر التربية الإسلامية**، لإبراهيم بن محمد العيسى، مجلة كلية التربية، جامعة أسيوط، كلية التربية، 2019م. اقتصرت الدراسة على الصفات السلبية، كما أنّ الباحث لم يقم بتأصيل الصفات تأصيلًا صحيحًا من الناحية اللغوية والاصطلاحية، ولم يربطها بين الناحية اللغوية والسياقية.
3. **تهذيب القرآن لصفات النقص الجبلية في الإنسان دراسة موضوعية**، لسلطان بن صغير العنزي، مجلة العلوم الشرعية، جامعة القصيم، 2020م. اقتصرت الدراسة على صفات الإنسان الجبلية دون المكتسبة، وجاءت مقتصرة على السياق الجزئي للصفات؛ فلم يربطها الباحث بسياقها القرآني العام لغرض بيان دور القرآن في التهذيب.
4. **دلالة الأوصاف السلبية المقترنة بلفظ الإنسان في القرآن الكريم**، لآلاء محمد سرحييل، كلية الشريعة، دمشق، سوريا، 2019م. اعتنت هذه الدراسة بتنوع الأسلوب القرآني في التعبير عن الصفات، ولم تعرض لسياقات ورود هذه الصفات الجزئية والعامة على مستوى القرآن.

أفادت هذه الدراسة من الدراسات السابقة في ضبط صفات الإنسان، وتميزت عنها بتحليل صفات الإنسان لغة وسياقًا، ثمّ الكشف عن علاقتها بالوحدة الموضوعية لسورة الإسراء.

منهج الدراسة:

1. **المنهج الاستقرائي:** سيتم توظيف هذا المنهج من خلال استقراء آيات سورة الإسراء؛ لحصر المواضع التي ذكرت صفات الإنسان.
2. **المنهج التحليلي:** سيتم توظيف هذا المنهج من خلال تحليل عناصر سورة الإسراء؛ للكشف عن وحدتها الموضوعيّة، ثمّ تحليل دلالات صفات

الإنسان المذكورة في سورة الإسراء تحليلًا لغويًّا وسياقيًّا.

3. **المنهج الاستنباطي:** سيتم توظيف هذا المنهج من خلال استنباط المحور الرئيس الذي يجمع موضوعات سورة الإسراء، ثمّ استنباط الآثار الإيجابية والسلبية المترتبة على تصرفات الإنسان وأفعاله وأثرها في الواقع المعاصر.

خطة الدراسة:

التمهيد: الوحدة الموضوعيّة في سورة الإسراء

المطلب الأول: مناسبات السورة وميزاتها ومقاطعها

المطلب الثاني: محور السورة الرئيس

المبحث الأول: دلالة صفة العجل وعلاقتها بسورة الإسراء.

المبحث الثاني: دلالة صفة القتروعلاقتها بسورة الإسراء.

المبحث الثالث: دلالة صفة اليأس وعلاقتها بسورة الإسراء.

المبحث الرابع: دلالة صفة الكفروعلاقتها بسورة الإسراء.

خاتمة : وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثنان.

المبحث الأول: الوحدة الموضوعيّة في سورة الإسراء

يقوم هذا المبحث على استنباط الوحدة الموضوعية لسورة الاسراء، من خلال التعريف العام بها، وبيان نوعها، ومناسباتها، ومقاطعها، ثم استنباط محور السور في ضوء ذلك كله.

المطلب الأول: مدخل تعريفي بسورة الإسراء

أولًا : التعريف بسورة الإسراء؛ هي السورة السادسة عشرة من حيث ترتيب المصحف الشريف، تقع قبل (سورة الكهف) وبعد (سورة النحل)، وعدد آياتها: مئة وإحدى عشرة في العد الكوفي، ومئة وعشرة في عدد الباقين (ينظر: الداني، 1994م، ص:177).

ثانيًا: فضائل السورة : وممّا ورد في فضل السورة؛

1. عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال: في بني إسرائيل، والكهف، ومريم:" إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي" (البخاري، 1390هـ، 388/8). والعتاق: جمع عتيق؛ وهو كل شيء بلغ الغاية في الجودة. وتلادي: أيّ؛ مما حفظ قديمًا (ينظر: ابن حجر، 1390هـ، 388/8)، والمراد تفضيل هذه السورة لما يتضمنه كل منها من أمر غريب خارق للعادة؛ كحادثة الإسراء.

2. عن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة ببني إسرائيل، والزمر" (حنبل، 2001م، 452/40) ينظر التخريج (الهيثمي، 1994م، 272/2).

ثالثًا: مكية السورة، اتفق المفسرون على مكية سورة الإسراء؛ لكنهم استثنوا بعض آياتها، وذكروا بأنها مدنية (ينظر: الزمخشري، 1987م، 646/2)، ولعل الداعي لذلك أنّها اشتملت على أحكام متتالية لم تذكر في غيرها، لكنّ الراجح – بالنظر إلى سياق الآيات، وضعف الروايات التي حكموا من خلالها بمدنيتها (ينظر: دروزة، 1383هـ، 351/3) – القول بمكيّة هذه الآيات، وبهذا تكون السورة بأكملها مكية بلا استثناء.

يقول ابن عاشور:" وقد اختلف في وقت الإسراء، والأصح أنه كان قبل الهجرة بنحو سنة وخمسة أشهر، فإذا كانت قد نزلت عقب وقوع الإسراء بالنبي ﷺ تكون قد نزلت في حدود سنة اثنتي عشرة بعد البعثة، وهي سنة اثنتين قبل الهجرة في منتصف السنة، وليس افتتاحها بذكر الإسراء مقتضياً أنها نزلت عقب وقوع الإسراء، بل يجوز أنها نزلت بعد الإسراء بمدة" (ابن عاشور، 1984م، 6/15).

رابعًا: تسمية السورة: سمّيت السورة بـ الإسراء، وبني إسرائيل، وسبحان، أما وجه تسميتها بالإسراء؛ فلافتتاحها بحادثة الإسراء، وسمّيت بسورة بني إسرائيل؛ لإخبارها عن قصة هلاكهم وتشريدهم مرتين (ينظر: الزحيلي، 1991م، 5/15)، وسمّيت بسورة سبحان؛ لتصدرها بكلمة سبحان (ينظر: ابن عاشور، 1984م، 6/15).

خامسًا: مناسبات السورة:

أ- **مناسبة سورة الإسراء لما قبلها:** جاءت سورة الإسراء بعد سورة النحل، ومن أوجه التناسب بينهما:

1. لما كان مقصود سورة النحل هو تنزيه الله تعالى عن صفات النقص ومنها العجلة، وإثبات الكمال المطلق لله وقدرته على الأمور الهائلة، وقد ختمت بتفضيل إبراهيم – عليه السلام – ونصره واتباعه على الرغم من قلة عددهم على أعدائه على كثرتهم، وهذا مما يناقض العادات المعهودة؛ افتتح

سورة الإسراء بالتأكيد على خرق العادات المؤكد لكمال قدرة الله، وفي ذكر حادثة الإسراء تنويه بمكانة النبي ﷺ ومنزلته العظيمة بما آتاه الله سبحانه من خصائص ومعجزات، ومنها: المقام المحمود. (البقاعي، د.ت، 287/11).

2. جاء في السورتين بيان لنعم الله الكثيرة على الإنسان، حتى سمّيت سورة النحل بـ"سورة النعم"، وجاء في سورة الإسراء تفصيل أنواع النعم العامة والخاصّة كما في الآيات: "إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ ..... وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا" [الإسراء: 9-12]، وقوله تعالى: "وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ..."[الإسراء: 70]. (ينظر: أبو حيان،2000م، 7/7. والسيوطي، 2002م، ص:98).

ب- أما عن مناسبتها لما بعدها وهي سورة الكهف:

1. " لما ختمت سورة الإسراء بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك، بدئت سورة الكهف بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص، منبهًا بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا الوجه الأحكم بهذا الكتاب القيم الذي خضعت لجلاله العلماء الأقدمون، وعجز عن معارضته الأولون والآخرون، الذي هو الدليل على ما ختمت به الإسراء من العظمة والكمال، والتنزه والجلال"(البقاعي، د.ت، 2/12 بتصرف).

2. لمّا سئل النبي ﷺ عن الروح، وأصحاب الكهف، وذي القرنين؛ أُجيب عن الروح في سورة الإسراء، وجاء بعدها مباشرة في سورة الكهف الإجابة عن الآخرَيْن. ولما قال في سياق الإجابة عن السؤال الأول: "وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا" [الإسراء: 85] ذكر في سورة الكهف قصة موسى نبيّ بني إسرائيل مع الخضر - عليهما السلام - وهي تدل على كثرة معلومات الله التي لا تحصى، فكانت كالدليل على ما تقدم. (ينظر: المراغي، 1946م، 113/15).

سادسًا: مقاطع السورة:

بعد قراءة السورة، والتأمل في موضوعاتها، ومراجعة كتب التفسير(ينظر: قطب، 2003م، 2207/4-2254. وحوى، 1424هـ، 6/ 3021-3142. وشحاتة، د.ت، 198-199)؛ ظهر للباحثين أن سورة الإسراء تتألف من مقدمة وستة مقاطع وخاتمة:

- **المقدمة: الآيات من (1-3):** تحدثت عن معجزة الإسراء التي منّ الله بها على النبي محمد ﷺ، وذكرت امتنان الله على موسى – عليه السلام - بالتوراة، وأشارت إلى كون النبي نوح – عليه السلام – كان شكورًا.
- **المقطع الأول: الآيات من (4-8):** يتحدث عن تاريخ بني إسرائيل وإفسادهم في الأرض، وما حل بهم من عقوبة.
- **المقطع الثاني: الآيات من (9_21):** تحدث عن القرآن الكريم ونعته بوصفي الهداية والتبشير، وقرّر جزاء من أراد الدنيا وجزاء من أراد الآخرة، وذكر بنعم الله في الدنيا، وعدد دلائل القدرة الإلهية، وقرر قاعدة التبعية الفردية في الهدى والضلال، وقاعدة التبعية الجماعية في التصرفات والسلوك.
- **المقطع الثالث: الآيات من (22-40):** يدور حديث هذا المقطع حول إثبات أن الإيمان الحق وتنظيم المجتمع الإسلامي يقومان على التوحيد، وقد عرض شيئاً من أوامر هذا القرآن ونواهيه، وهو نموذج على هدايته للتي هي أقوم.
- **المقطع الرابع: الآيات من (41-69):** يقرر هذا المقطع أن كل ما في السماوات والأرض مسبح لله وحده، ويقرر كذلك وحدة المصير والعودة إلى الله وحده، ووحدة علم الله الشامل والتصرف في شؤون خلائقه، وجاء فيه الرد على شبهات المشركين، وتعرّض لمجموعة من الأسباب تحول بين الناس وبين الهداية، وأقام فيها الحجة عليهم، بالإضافة إلى قصة سجود الملائكة لآدم عليه السلام، وامتناع إبليس من السجود.
- **المقطع السادس: الآيات من (70-88):** يتحدث هذا المقطع عن شخص الرسول ﷺ وموقف القوم منه والقرآن الذي جاء به، وخصائص هذا القرآن، وتكريم الإنسان وبيان طبيعته.
- **المقطع السابع: الآيات من (89_100):** يدور حديث هذا المقطع حول إثبات حجية القران من خلال تنويع آياته، وذلك للرد على المشركين في إنكارهم بشرية الرسول ﷺ، وإنكارهم البعث، واقتراحهم مجموعة من الآيات والخوارق للتصديق برسالته.
- **خاتمة: الآيات (101-110):** تقسم الخاتمة إلى مجموعتين: المجموعة الأولى (101-104) ويعود حديثها على بني إسرائيل من خلال إيتاء موسى -عليه السلام -تسع آيات بينات، والحديث الذي دار بين موسى وفرعون بعدها. المجموعة الثانية (105-111) وتتحدث عن إثبات أحقية القرآن، وصفة إنزاله بكونه مفرقًا، وبيان الحكمة من ذلك، وهي ما تقرر في قوله تعالى: " وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا" [الإسراء: 106]، كما تحدثت عن تنزيه الله عن الولد والشريك، وبذلك تلتحم الخاتمة مع المقدمة، فالقاسم المشترك بين ما تقرر في بداية السورة وما تقرر في خاتمتها هو الحديث عن بني إسرائيل والحديث عن القرآن.

سابعًا: مميزات السورة أسلوبًا ومضمونًا:

1. صدرت السورة بلفظ (سبحان)، وقد بدأت وانتهت بتنزيه الله تعالى لما فيها من معان جليلية، وهي أكثر سورة ذكر فيها هذه الصيغة (سبحان) (ينظر الآيات1، 43، 93، 108).

2. انفردت بالحديث عن المسجد الأقصى: "سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ" [الإسراء: 1].

3. أكثر سورة تحدثت عن القرآن الكريم حيث ورد (١١) مرة (ينظر الآيات رقم 9، 41، 45، 46، 60، 78، 82، 88، 89، 106،105).
4. تميزت السورة بكثرة ورود صفات الإنسان فيها (ينظر الآيات 11، 67، 83، 100)
5. تكرر فيها لفظ (الرب) بمشتقاته: (ربكم) و(ربك) و(لربّه)، و(ربهم).
6. ذكرت السورة عداوة الشيطان للإنسان مبينة وسائل الإغواء والتسلط، وأبرزها:" وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ.." [الإسراء: 64].
7. ورد لفظ (قل) فيها (١٤) مرة في سياق الرد على المشركين ومواجهتهم (ينظر – مثلا – الآيات 42، 50، 51، 56، 81، ..).
8. حوت السورة الوصايا العشرة، وتتضمن الحديث عن بر الوالدين، وايتاء ذي القربى والمساكين، والاعتدال في الإنفاق، وعدم قتل الأولاد، وعدم الوقوع في الزنى، وعدم قتل النفس، وإيفاء بالكيل، والوفاء بالعهد، وعدم أخذ مال اليتيم، والتواضع وعدم الخيلاء.
9. ورود موانع الفهم، وهي: الأكنة، والوقر، والنفور، والحجاب المستور (ينظر الآيات: 41، 45، 46).
10. تفردت السورة بذكر مادة الاستفزاز باشتقاقاتها المختلفة في سياقات مختلفة، أثناء الحديث عن استفزاز الشيطان للإنسان، واستفزاز أهل مكة للنبي ﷺ، واستفزاز فرعون لمن آمن من بني إسرائيل (ينظر: [64، 76، 103).

المطلب الثاني: محور السورة الرئيس

يقوم هذا المطلب على استطلاع أقوال المفسرين والباحثين حول مقصود سورة الإسراء، وينتهي باستنباط مقصودها في ضوء ما تقدم.

يقول سيد قطب:" السورة تبدأ بتسبيح الله، وتنتهي بحمده، وتضم موضوعات شتى معظمها عن العقيدة؛ وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة؛ إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل يتعلق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء. وطرف من قصة آدم، وإبليس وتكريم الله للإنسان. ولكن العنصر البارز في كيان السورة ومحور موضوعاتها الأصيل هو **شخص الرسول ﷺ، وموقف القوم منه في مكة**. وهو القرآن الذي جاء به، وطبيعة هذا القرآن، وما يهدي إليه، واستقبال القوم له" (قطب، 2003م، 2208/4 بتصرف يسير).

وقرر طهماز أنّ سورة الإسراء نزلت في أواخر المرحلة المكية قبل هجرة النبي ﷺ، وكان النبي حينئذ في ذروة المواجهة مع المشركين، وتوفيت في هذه المرحلة أم المؤمنين السيدة خديجة -رضي الله تعالى عنها -التي كانت خير سند وعون له ﷺ وفي العام نفسه توفي عمه أبو طالب، وكان للنبي ﷺ عضدًا وحرزًا منعه من كفار قريش، وأثناء تلك المرحلة خرج ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف حتى يتمكن من تبليغ دعوة ربه، لكنهم لم يفعلوا، بل أغروا به سفاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمونه بالحجارة.

وفي ذروة هذه المواجهة وشدة المحنة أكرم الله تعالى نبيه ﷺ برحلة الإسراء والمعراج، فكان فيها تشريف للنبي ﷺ وتكريم، وتثبيت له، وتسلية عن همومه وأحزانه، وأنزل الله تعالى آيات السورة تحمل للنبي ﷺ التثبيت بالقرآن الكريم، والتثبيت على آيات القرآن الكريم، كما تحمل له بشائر النصر القريب..." (طهماز، 2014م، 4/542-543).

وقيل: إن السورة تدل بفحوى مقدماتها على وحدة الرسالات الربانية، ودعوة أهل الكتاب، ولا سيما بني اسرائيل إلى الدخول في الإسلام، مع بيان تاريخهم المستقبلي، وتوجيه مقدمات علاجية لهم، ومتابعة علاج الكفار إبان التنزيل، وفي ضمن ذلك توجهات بوصايا للمؤمنين، وتربية توجيهية للرسول ﷺ. (الميداني، 2002م، 9/ 520-523).

ويقول أحمد نوفل:" إن موضوع سورة الإسراء ووحدتها الموضوعية تتمثل في (دستور النصر لأمة الإسراء على أمة إسرائيل)، أمّا سر استثناء السورة بهذه النسبة العالية من ذكر القرآن؛ فلأن القرآن هو دستور النصر وبغيره لا نصر، وهذه السورة أكثر سورة تحدثت عن الإنسان؛ لأنه عدة هذا النصر"(نوفل، 2014م، ص90).

فمن خلال تتبع أقوال العلماء وما ظهر للباحثان أثناء تقسيم السورة يتبين **أن المحور الرئيسي للسورة هو الاعتصام بالقرآن الكريم، والتَّثبُّت به في مواجهة الأعداء.**

وقد ذكرنا عند تعداد ميزات السورة أن السورة تميزت بتكرار الحديث عن القرآن الكريم، وبيان مسالك الشيطان، وموانع الفهم ذلك أنّ من أهم أسباب التثبيت وعواملها هو الاعتصام بالقرآن الكريم، ومما يعين على الاعتصام بالقرآن؛ الحذر من موانع فهم القرآن، والحذر من مسالك الشيطان في الإغواء.

كما انفردت في الحديث عن المسجد الأقصى، وورود مادة الاستفزاز فيها باشتقاقاتها المختلفة، وتكرار (قل) في سياق الرد على المشركين، وتكرار لفظ (الرب) بصيغ متعددة، وهذا كله له صلته بمحور السورة الذي يقوم على التثبيت، والدعوة إلى الإعداد والحذر، وإضفاء روح الطمأنينة.

والحديث عن المسجد الأقصى له عدة دلالات: أولًا: فيه إشارة إلى ما منّ به الله تعالى على نبينا محمد ﷺ بحادثة الإسراء والمعراج التي كانت رحلة مواساة وطمأنينة للنبي ﷺ، وما حملت تلك الرحلة من قوة التثبيت والمواجهة ضد المشركين والكفار. ثانيًا: فيه إشارة إلى أن الصراع الأكبر مع أعداء الإسلام يكون في هذا المكان المبارك. ثالثًا: كان في إسراء الله تعالى بالنبي محمد ﷺ خاتم الأنبياء إلى الأرض المباركة إشارة إلى إنّ الأمة الوارثة للدين والإيمان

وارثة للأرض المباركة، ولتحقيق هذه الوراثة لا بد من حلول صراع كبير في هذه الأرض المباركة أمام بني إسرائيل، فنزلت السورة مبينة حقيقة هذا الصراع، ونزلت معها عوامل التثبيت والاعتصام تنبئ بقوة هذه المواجهة.

المبحث الأول: دلالة صفة العجل وعلاقتها بسورة الإسراء

سيبيّن الباحثان في هذا المبحث دلالة صفة العجلة الواردة في سورة الإسراء لغةً وسياقًا، ثم يكشفان عن علاقتها بالوحدة الموضوعية للسورة.

أولًا: دلالة (العجول) لغة:

العَجَلُ والعَجَلة: السرعة، وهي خلاف البطء، والاسْتِعْجال والإعْجال والتَّعَجُّل واحد: بمعنى الاستحثاث وطلب العجلة. والعَجَلَةُ: طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشهوة، أحد الأخلاق التي ركب عليها الإنسان، وعلى ذلك قال: وكان الإنسان عجولًا (ينظر: الراغب، 1412هـ، 549/1. وابن منظور، 1414هـ، ٤٢٥/11-٤٢٨).

ومعنى خلق الإنسان من عجل أي: كثرة فعله إياه واعتياده له. والعَجَل ضَرْبٌ من الضعف الذي جاء في قوله: "وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا" لما يؤذن به من الضرورة والحاجة. (ينظر: ابن منظور، 1414هـ، ٤٢٨/11).

وفي التحقيق:" عجل: هو ما يقابل البطؤ، وهو الاستباق والإسراع في أمر من دون أن يتصبّر إلى حلول وقته، سواء كان ذلك الأمر ممدوحًا أو مكروهًا، وسواء كان النيّة وقصد المريد خيرًا أو شرًّا، وهذه الصفة على خلاف الطمأنينة والصبر والسكون، ومنشأها ضعف النفس وقلّة الاستعداد وضيق القلب والمحدوديّة"(المصطفوي، 1385هـ، 44/8).

ثانيًا: دلالة سياق الحديث عن صفة العجول:

جاء الحديث عن عجلة الإنسان بعد قوله تعالى: "إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ.."[الإسراء: 9] ووجه المناسبة بينهما؛ أنّه لما ذكر سبحانه ما لكلامه من الدعاء إلى الأقوم؛ أتبعه ما عليه الإنسان من العوج الداعي له إلى العدول عن التمسك بشرائعه القويمة والإقدام على ما لا فائدة فيه، فهو بيانٌ لحال المهديّ إثرَ بيان حالِ الهادي وإظهارٌ لما بينهما من التباين، تنبيهاً على ما يجب عليه من التأني للنظر فيما يدعو إليه نفسه ووزنِه بمعيار الشرع.

أما مجيء الآية في سياق تركيز السورة على إفساد بني إسرائيل وعلوهم؛ فذلك لأن أهم شروط النصر هو الصبر؛ فالصبر عدة للنصر، والعجلة مضيعته، ومن شواهد ذلك: أنّ الاستعجال في إنهاء الاحتلال جعل كثيرًا من المسلمين يتخلون عن طريق الإسلام والقرآن، ويعملون متبنين طرقًا أخرى يظنونها أسرع للتحرير، وما نراهم يزدادون إلا تعثرًا ويزداد اليهود تمكنًا. وفي السياق دلالة على أن حلّ القضية الفلسطينية طريقه الاهتداء بالقرآن، والإيمان والعمل الصالح والعمل الدءوب غير المتسرع (نوفل، 2014م، ص90. وحوى، 1424هـ، 3047/6).

ويرى محمد حجازي إن" السر في وضع الآية هنا، أنّ فيها إشارة إلى أن هؤلاء اليهود في موقفهم من النبي ﷺ وكفرهم به طلبًا للدنيا، واستجابة لدعاء الشر قد آثروا العاجلة على الباقية ولو أمعنوا النظر ودققوا الفهم ما عملوا شيئا من هذا!!! فهم دعوا الشر وطلبوه في الواقع ونفس الأمر كدعائهم الخير، وما دفعهم إلى ذلك إلا حب العاجلة، وإيثار الفانية على الباقية والعجلة في إدراك الأمور" (حجازي، 1314هـ، 357/2).

ثالثًا: تحليل موضع وروود صفة العجول:

يقول تعالى: "وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا" [الإسراء: 11]

جاء التعبير بـ (كان) في سياق الإخبار عن صفات الآدميين: "وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا" [الإسراء: 11]؛ للتنبيه على أنها فيهم غريزة وطبيعة مركوزة في النفس. (ينظر: الزركشي، ٢٠٠٦م، 121/4).

وقوله (عجولًا) جاء على زنة فعول. (إبراهيم، د.ت، ص:345) وهذه الصيغة تدل على مبالغة اسم المفعول الذي يدل على الثبوت (ينظر: السامرائي، 2000م، 52-63)، وهذا يؤكد ما سبق من إن هذه الصفة مركوزة في النفس، وتحتاج إلى ترويض، إلا إذا صرفت في مسارعة الخيرات.

وجاء قوله: "وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا" في سياق دعاء الإنسان بالشر - لسفهه وقلة عقله، عند الغضب ونحوه - على نفسه وعلى من يحبه، يقول تعالى: "وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ" [الإسراء: 11] ثمّ نبّه على الطبع الذي هو منبع ذلك، فقال تعالى: "وكان الإنسان عجولاً" أي مبالغًا في العجلة يتسرع إلى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله من غير أن يتأنى فيه تأني المتبصر الذي لا يريد أن يوقع شيئًا إلا في أتم مواقعه، ولذلك يستعجل العذاب لنفسه استهزاء.

وتحتمل الآية أن الإنسان قد يبالغ في الدعاء طلبًا لشيء يعتقد أن خيره فيه، مع أن ذلك الشيء يكون منبع شره وضرره، وهو يبالغ في طلبه لجهله بحال ذلك الشيء، وإنما يقدم على مثل هذا العمل لكونه عجولًا مغترًا بظواهر الأمور غير متفحص في حقائقها وأسرارها.

ومن مظاهر عجلة الإنسان أنّ نظرته إلى الأشياء نظرة قصيرة عجلى؛ لا ينظر بعمق وشمول، ولا تمتد رؤيته إلى تجارب الآخرين من الناس؛ بل يتبع أهواء نفسه حبًا في الدنيا العاجلة ولو انتهى به حبه لها إلى شقائه وعذابه الأبدي؛ لهذا سميت الدنيا بالعاجلة، وعطفت الآيات بعدها "مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ.." [الإسراء: 18] فإنه لا يصبر على أمر واحد، ولا على شيء واحد، وإن كان نعمة لم يصبر عليها؛ ولكن يمل عنها،

وكذلك في أدنى شدة وبلاء إذا بلي به لم يصبر عليه، فأبدًا يريد الانتقال من حال إلى حال؛ ألا ترى أن الله مكن في باطنه أن يروض نفسه، ويعودها على الصبر والحكم والوقار، ويصرف تلك العجلة إلى الخيرات والطاعات؛ لكن بما امتحنه من الأمر والنهي والترغيب في الموعود والترهيب صيره بحيث يملك إخراجه عما طبع وأنشئ إلى حال أخرى بالصبر، ومن رحمة الله تعالى بعباده ألا يستجيب لهم هذا الدعاء الذي إنْ دلّ فإنما يدل على حُمْق وغباء من العبد وبمثل ذلك قال تعالى:" وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ.." [يونس: 11] أي: لو استجاب الله لهم في دعائهم بالشر لكانت نهايتهم. (ينظر: البقاعي، د.ت، 11/ 383-384. والرازي، 1420هـ، 305/20. وأبو السعود، د.ت، 158/5. والماتريدي، 2005م، 13/7-14. والشعراوي، 1997م، 8396/14).

رابعًا: علاقة صفة العجلة بالوحدة الموضوعية لسورة الإسراء:

تتناولت سورة الإسراء توجيهات إلهية تعزز من صمود الإنسان وتؤكد على ضرورة الصبر وعدم الاستعجال كركائز أساسية في مواجهة المحن، إن السورة تبدأ بالإشارة إلى عظمة القرآن الكريم ودوره في الهداية والتثبيت وهذا بدوره يذكر الإنسان بحتمية الصبر على الأوامر الإلهية، أضف إلى ذلك أن السورة تناولت جوانب متعلقة بالإعداد المادي والمعنوي لمواجهة التحديات، مما ينسجم مع فكرة تجهيز العدة والعتاد، ويعد التثبيت بالقرآن والصبر من أهم الوسائل التي تدعم الانسان في الثبات على الحق لمواجهة الأعداء.

المبحث الثاني: دلالة صفة الكفر وعلاقتها بسورة الإسراء

أولًا: دلالة الكفر لغة:

يقول ابن فارس:" الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية. وَالْكُفْرُ: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق. وكذلك كُفْرَانُ النعمة: جحودها وسترها"(ابن فارس، 1979م، 191/5).

وَالْكُفْرُ: تغطية ما حقه الإظهار، والكُفرَانُ: ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها، وأعظم الكفر جحود الوحدانية أو النبوة أو الشريعة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالًا، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعًا، وفي قوله تعالى: "وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا" تنبيه على ما ينطوي عليه الإنسان من كفران النعمة، وقلة ما يقوم بأداء الشكر (ينظر: المناوي، 1990م، ص:282. والراغب الأصفهاني، 1412هـ، ص: 713-714. والفيروزآبادي، 1996م، 363/4).

مما تبين أعلاه يظهر أن الكفر هو تغطية وستر نعمة المنعم وجحودها، وذلك بترك شكرها لخالقها، وعدم الاعتراف بفضل الله سبحانه عليه.

ثانيًا: دلالة سياق الحديث عن صفة الكفر في السورة:

جاءت صفة (كفور) في سياق الحديث عن نعم الله تعالى على عباده وحفظه لهم، فبعد أن تحدثت الآيات السابقة عن غواية ابليس لآدم وذريته باستثناء الصالحين من عباده الذين عصمهم الله سبحانه من سلطانه وإغوائه وطرائق الضلال التي تقود إلى الكفر والطغيان: قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا (62) ... إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا [الإسراء: 62-65] ذكر بعدها دلائل ألوهية الله سبحانه وأفعاله العظيمة على عباده ونعمه عليه التي يتوجب على الإنسان أن يقابلها بالشكر والتوحيد، قال تعالى: "رَّبُّكُمُ ٱلَّذِي يُزْجِي لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِي ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا" آية 66، ومع ذلك قابلها بالكفر والجحود، فإذا مسّه الضر – ويلحظ هنا دقة التعبير إذ لم ينسب الضر لله تعالى تأدبًا - ظل يدعو الله سبحانه وحده ولا يخطر بباله غيره تعالى لكشف ما حلّ به من الضر، وإذا أمن الضر نسي ما كان يدعو إليه من قبل فكفر وجحد بالنعمة وعبد من لا ينفع ولا يضر: وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا (67) [الإسراء]. ثمّ وبخت الآيات بعدها الإنسان وحذرته من جحود النعمة، فقال تعالى:" أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا (68) أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا"[الإسراء: 68-69] فهل يأمن أن يخسف به الأرض، أو يرسل عليه حاصبًا من الريح في البر، أو قاصفًا من الريح في البحر؟ ثم عادت الآيات إلى بيان تمام نعمه سبحانه على الإنسان حثًا له وترغيبًا في الشكر والتوحيد، فإن الله سبحانه سخّر له البر والبحر ورزقه من الطيبات وفضّله على كثير من المخلوقات، قال تعالى:" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا [الإسراء: 70] . (ينظر: البقاعي، د.ت، 471/11. وقطب، 2003م، ص:2237. والآلوسي، 1415هـ، 109/8. والخطيب، د.ت، 523/8. والزحيلي، 1991م، 122/15. والمراغي، 1946م، 73/15).

والتكريم هو علة التكليف(طهماز، 2014م، 614/4)، فالله سبحانه كرّم الإنسان على مخلوقاته؛ لأنه المستخلف في الأرض، ولكن من جهل الإنسان وقلة وعيه - إلا من عصمه الله سبحانه – أنه لم يأخذ بأدوات هذا التكليف من التوحيد والطاعة والسير في عمارة الأرض وفق هذا المنهج؛ لذلك جاءت آية التكريم بعد توبيخ الإنسان ليحذره من عواقب جهله، ترغيبًا له في الرجوع إلى هدى الله سبحانه.

وجاء الحديث عن غواية إبليس في هذا السياق؛ ليبيّن إن الكفر والجحود المذكوران في الآية هما سبب من أسباب غواية ابليس، ولهذا أخبر الله سبحانه بأن عباده المخلصين بعيدون عن هذه الغواية، والتكريم المشار إليه في الآية جاء للحث والترغيب في الطاعة والرجوع إلى منهج الله سبحانه.

ثالثًا: تحليل الموضع ورود صفة (الكفر)

يقول تعالى:" وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورٗا [الإسراء: 67].

وردت جملة "وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورٗا" في الآية الكريمة كالتعليل للإعراض عن شكر المنعم (ينظر: وأبو السعود، د.ت، 185/5)، وجاءت تذييلًا لزيادة التعجب من حال كفر الإنسان وجحوده(ابن عاشور، 1984م، 160/15).

و «الكفور» صيغة مبالغة، بمعنى كثير الكفر، والكفر ضد الشكر

والتعريف في الإنسان لبيان الجنس. (ينظر: ابن عطية، 1422 هـ، 472/3. والآلوسي، 1415هـ، 110/8).

قال ابن عاشور: "التعريف في الإنسان تعريف الجنس وهو مفيد للاستغراق، فهذا الاستغراق يجوز أن يكون استغراقًا عرفيًا بحمله على غالب نوع الإنسان، وهم أهل الإشراك وهم أكثر الناس يومئذ، فتكون صيغة المبالغة من قوله: "كفورًا" راجعة إلى قوة صفة الكفران أو عدم الشكر فإن أعلاه إشراك غير المنعم مع المنعم في نعمة لا حظ له فيها.

ويجوز أن يكون الاستغراق حقيقيًا، أي: كان نوع الإنسان كفورًا، أي غير خال من الكفران، فتكون صيغة المبالغة راجعة إلى كثرة أحوال الكفران مع تفاوتها، وكثرة كفران الإنسان هي تكرر إعراضه عن الشكر في موضع الشكر ضلالًا أو سهوا أو غفلة لإسناده النعم إلى أسبابها المقارنة دون منعمها ولفرضه منعمين وهميين لا حظ لهم في الإنعام"(ابن عاشور، 1984م، 160/15).

ويبدو أن الرأي الراجح هو الثاني، إذ أن استغراق الصفة يشير إلى كثرة أحوال الكفر وتفاوتها، وهذا ما نلمسه في حياتنا اليومية من كثرة جحود الناس رغم تزايد نعم الله سبحانه عليهم.

يقول الالوسي: "وَكانَ الإنسان كَفُوراً" كالتعليل للإعراض وهو بيان لحكم الجنس، ويعلم منه حكم أولئك المخاطبين، وفيه لطافة حيث أعرض سبحانه عن خطابهم بخصوصهم، وذكر أن جنس الإنسان مجبول على الكفران فلما أعرضوا أعرض الله سبحانه عنهم"(الآلوسي، 1415هـ، 110/8).

واختلف العلماء في نوع الاستثناء في قوله: "وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ" أهو متصل أم منقطع؟ فالتفسير على الاتصال يشير إلى إنهم يلجؤون إلى الله تعالى وآلهتهم الباطلة معًا، وعلى الانقطاع فإن المراد هو آلهتهم المزعومة من دون الله سبحانه. والراجح: هو على الانقطاع؛ وذلك لأن الكفار يعتقدون إن آلهتهم نافعة في غير هذه الحالة، فأما في هذه الحالة فإنهم يعلمون بالفطرة ألا منجي لهم سوى الله سبحانه، وهذا منسجم مع سياق الآية، وكما أسلف الباحثان سابقًا إن التعريف يفيد استغراقًا حقيقيًا (ينظر: أبو حيان،2000م، 82/7. والسمين الحلبي، د.ت، 384/7. والشوكاني،1414هـ، 289/3. والقنوجي،1992م، 422/7. والآلوسي، 1415هـ، 109/8).

وتبسيط القول: لا يقصد بعبادة غير الله سبحانه عبادة الأصنام فقط، فقد يعبد الإنسان هواه، ويعبد ماله وسلطانه وجاهه، فالمعنى أوسع من تخصيصه وتضييقه على الأصنام فقط.

ومجيء كان تفيد معنى رسوخ الصفة في النفس إلا من هداه الله سبحانه وهم عباده الصالحون المعصمون من طرائق الغواية المذكورون في قوله تعالى: "إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌۚ"[الإسراء: 65] وعلى الإنسان أن يستذكر نعم الله تعالى المتعاقبة عليه، فلا ينساها ويجحد نعم ربّه إذا أصابه أيُّ ضرر، ففي صدد ذلك قال ابن عاشور:" وذكر فعل (كان) إشارة إلى أن الكفران مستقر في جبلة هذا الإنسان؛ لأن الإنسان قلما يشعر بما وراء عالم الحس فإن الحواس تشغله بمدركاتها عن التفكر فيما عدا ذلك من المعاني المستقرة في الحافظة والمستنبطة بالفكر.

ولما كان الشكر على النعمة متوقفًا على تذكر النعمة كانت شواغله عن تذكر النعم الماضية مغطية عليها، ولأن مدركات الحواس منها الملائم للنفس وهو الغالب، ومنها المنافر لها. فالإنسان إذا أدرك الملائم لم يشعر بقدرة عنده لكثرة تكرره حتى صار عادة فذهل عما فيه من نفع، فإذا أدرك المنافر استذكر فقدان الملائم فضج وضجر،.... ولهذا قال الحكماء: العافية تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى فهذا الاعتبار هو الذي أشارت له هذه الآية مع التي بعدها وهي أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر [الإسراء: ٦٨] الآية. ومن أجل ذلك كان من آداب النفس في الشريعة تذكيرها بنعم الله، قال تعالى: وذكرهم بأيام الله [إبراهيم: ٥] ليقوم ذكر النعمة مقام معاهدتها." (ابن عاشور، 1984م، 161/15).

يقول الرازي:" وكان الإنسان كفورًا لنعم الله بسبب أنه عند الشدة يتمسك بفضله ورحمته، وعند الرخاء والراحة يعرض عنه ويتمسك بغيره." (الرازي، 1420هـ، 371/21).

ويرى الميداني إن السبب في جحود الإنسان وكفره لنعم الله سبحانه وتعالى "يرجع إلى عاملين: الأول: الكبر، ورغبة الإنسان أن يكون مستعليًا غير ذي حاجة إلى غيره، فهو لا يحب أن يعترف بمنّة غيره عليه. الثاني: التهرب من تأدية واجب الشكر؛ لأنه متى أعلن اعترافه بمنة الله تعالى عليه، كان مسؤولًا أديبًا أمام الناس عن شكر من أنعم عليه بما يستحق بمن شكر" (الميداني، 2000م، 685/9 بتصرف).

ذكر الكرجي أن هذه الآية " دليل على أن الفزع إلى الله في الشدة دون الرخاء خلق من أخلاق الكافرين، وأن المؤمن مندوب إلى مراعاة حق الله عليه، والتعرف إليه في الرخاء؛ ليجاب عند الشدة، فإذا أجيب ازداد ذكرًا وخشية، واقترابًا وتفويضًا؛ ليكون عبدًا مؤتمرًا لا وجلًا خائفًا، متبرئًا من الحول والقوة مستمدًا بالمعونة من ربه في كلا حاليه من الرخاء والشدة مثل هذا قوله في سورة النحل: "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ (53) ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ [النحل: 53-54] " (الكرجي، 2003م، 179/2).

فعلى المؤمن أن يشكر الله سبحانه على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فالنعم تزاد بالشكر، وتزول بالكفر كقوله تعالى:" لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ"[إبراهيم: 7].

رابعًا: علاقة صفة الكفر بالوحدة الموضوعية لسورة الإسراء:

أما عن وجه تناسق صفة الكفر مع الوحدة الموضوعية لسورة الإسراء: فمما تبين للباحثان سابقًا إن المحور الرئيسي للسورة يتمثل في الاعتصام بالقرآن الكريم والتَّثبُّت به في مواجهة الأعداء، والكفر والجحود تمثلان نموذجًا في الإعراض عن هدي القرآن والانحراف عن التوحيد، وهو ما حذرت منه السورة التي بيّنت بدورها مسالك الغواية وطرائقها والتحذير منها؛ لتجنب الوقوع فيها، فبذلك حثّت السورة على الاعتصام والتمسك بهدي القرآن والعودة إلى طاعة الله وشكره على نعمه، محذرة من الوقوع في الكفر والجحود لنعم الله سبحانه فيقع في الغواية والضلال، فالتمسك بالقرآن الكريم والاعتصام به هو المقوم والعلاج الشافي من مرض الكفر والجحود.

المبحث الثالث: دلالة صفة اليأس وعلاقتها بسورة الإسراء

- **أولًا: دلالة اليأس لغة:**

قال ابن فارس:" الياء والهمزة والسين. كلمتان: إحداهما الْيَأْسُ: قطع الرجاء... يقال منه: يَئِسَ يَيْأَسُ وَيَيْئِسُ، عَلَى يَفْعَلُ وَيَفْعِل. والكلمة الأخرى: ألم تَيْأَسْ، أي ألم تعلم، قال تعالى: "أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ" [الرعد: 31]. أي أفلم يعلموا"(ابن فارس، 1997م، 153/6 بتصرف).

وردَ الراغب على قول ابن فارس في معنى قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ" أي: أفلم يعلموا، قائلًا:" لم يرد أن اليأس موضوع في كلامهم للعلم، وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل بعد العلم بانتفاء ذلك، فإن ثبوت يأسهم يقتضي ثبوت حصول علمهم"، مقررًا أن اليأس هو: انتفاء الطمع (ينظر: الراغب الأصفهاني، 1412هـ، ص:892).

وجاء في المعجم الوسيط: "(يَئِسَ) منه (يَيْأَسُ وَيَيْئِسُ) يأسًا ويآسة انقطع أمله منه، وانتفى طمعه فيه؛ فهو يائس ويؤوس"(مصطفى وآخرون، 1972م، 1062/2).

وقال حسن جبل:" الْيَأْسُ: القنوط نقيض الرجاء. والمعنى المحوري تكوّن شعور بمعنى في النفس دقيقٍ له حدّة: كاليأس، فإنه شعور حادٌّ بتمام استغلاق السبيل نحو خير معيّن يصحبه سخط ويتبعه إعراض تام عن المحاولة، "وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ [هود: 9] إنه شديد اليأس كثيره، ييأس أن تعود إليه تلك النعمة المسلوبة، ويقطع رجاءه من فضل الله، من غير صبر ولا تسليم لقضائه"(جبل، 2010م، 2368-2367/4).

وذكر في التحقيق:" الأصل في المادّة: هو انقطاع التوقّع والانتظار عن شيء، وأمّا العلم فهو من آثار الأصل، فانّ الانقطاع عن شيء: يلازم حصول تصميم قاطع في طريق برنامجه المقصود له"(مصطفوي، 1385هـ، 7/11).

فالمعاني اللغوية والاصطلاحية في اليأس تدور حول انقطاع الأمل والرجاء وانتظار الشيء، وانتفاء الطمع.

ثانيًا: دلالة سياق الحديث عن صفة اليأس:

جاء سياق الآية لبيان موقف الخلق من نعمة القرآن الذي نزل هاديًا وشافيًا من الأمراض والعلل الروحانية والجسمانية، فقررت الآية السابقة أنّ الخلق انقسموا قسمين تجاه موقفهم من القرآن، يقول تعالى: "وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" [الإسراء: 82]؛ فالمؤمن يدرك أن في القرآن علاجًا من جميع العلل والأمراض؛ كالطمع، والجشع، والحسد، والكبر فينتفع بنوره، بخلاف الظالم لنفسه ولغيره الذي يستقبل نعم الله بالجحود والإنكار فلا يزداد إلا خسارة، ثمّ بيّن السياق سبب خسارة الظالمين وعدم انتفاعهم بنور القرآن، وذلك في قوله تعالى: "وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا" [الإسراء: 83]، فالجملة عطفت على ما قبلها بيانًا لحال هؤلاء الضالين الغير مهتدين بنور الإيمان، مبينة أن حب الدنيا وفتنة المال والجاه سبب إعراض الظالمين عن الحق وعن طاعة الله سبحانه، فصورت لنا حال هذا الظالم بثني الوجه وإدارة الظهر تكبرًا وابتعادًا عن ذكر الله سبحانه ومراقبته وطاعته، وهذا حال من بعد عن الله خالقه، وشغل بهذه النعم المؤقتة، ثمّ بيّنت لنا في المقابل حال هذا الظالم إذا مسه الشر كفقدان جزء من هذه النعم، ويتمثل بفقدان ثقته بربه واليأس من رحمته تعالى.

ثم أكدت الآية التي بعدها مباشرة ما سبق ببيان أن الناس ليسوا كلهم سواء؛ فالمؤمن يصبر في الضراء ويشكر في السراء، والضال يجحد ويبطر في

النعمة ويبئس في الضراء بعدها: "قُلۡ كُلّٞ يَعۡمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦۖ فَرَبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَنۡ هُوَ أَهۡدَىٰ سَبِيلٗا [الإسراء: 84] فعقب سبحانه بعد أن بيّن أحوال البشر بهذه الآية التي جاءت كالقانون الناظم؛ فكل يعمل وفق طبيعته وملكته الغالبة عليه، الحاصلة له من استعداد حقيقته، التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة، ويجزيه في الآخرة وفق ذلك. (ينظر: أبو حيان، 2000م، 105/7. والرازي، 1420هـ، 391/21. والقاسمي، 1418هـ، 499/6. ابن عاشور، 1984م، 191/15. والخطيب، د.ت، 537/8-538. وحوى، 1424هـ، 3107/6).

إن ما في القرآن من الهدى والشفاء هو الكفيل بتوجيه هذه الصفة وعلاجها؛ فالمؤمن يعيش في أمان وطمأنينة في جميع حالاته: فلا ييأس ويصبر في حال الضراء، ويشكر الله سبحانه على مننه في حال السراء.

يقول سيد قطب:" في القرآن شفاء من الوسوسة والقلق والحيرة، فهو يصل القلب بالله، فيسكن ويطمئن ويستشعر الحماية والأمن؛ ويرضى فيستروح الرضى من الله، والرضى عن الحياة؛ والقلق مرض، والحيرة نصب، والوسوسة داء. ومن ثم هو رحمة للمؤمنين.... أما حين يترك الإنسان بلا شفاء ولا رحمة. حين يترك لنزعاته واندفاعاته فهو في حال النعمة متبطر معرض لا يشكر ولا يذكر، وهو في حال الشدة يائس من رحمة الله، تظلم في وجهه فجاج الحياة... والنعمة تطغى وتبطر ما لم يذكر الإنسان واهبها فيحمد ويشكر، والشدة تيئس وتقنط ما لم يتصل الإنسان بالله، فيرجو ويأمل، ويطمئن إلى رحمة الله وفضله، فيتفاءل ويستبشر، ومن هنا تتجلى قيمة الإيمان وما فيه من رحمة في السراء والضراء سواء"(قطب، 2003م، 2248).

ثالثًا: تحليل موضع ورود صفة (يؤوس):

جملة "وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ ئَُوسٗا" احتراس من أن يتوهم السامع من التقييد بقوله: "وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا" أنه إذا زالت عنه النعمة صلح حاله؛ فبيّن أن حاله ملازم لنكران الجميل في السراء والضراء، فإذا زالت النعمة عنه لم يقلع عن كبره وجحده؛ ولكنه ييأس من الخير، ويبقى حنقًا ضيق الصدر لا يعرف كيف يتدارك أمره. (ابن عاشور، 1984م، 193/15) والواو عاطفة، وجيء ب (إذا) التي تستعمل في الشيء المتحقق الوقوع؛ للدلالة على أن الشر هنا متحقق الوقوع، وذلك لبيان حال المهتد بالقرآن وخلافه في السراء والضراء، فمن سنة الله تعالى ابتلاء الخلق بالخير والشر؛ ليتحقق التكليف وما يترتب عليه من جزاء.

ويستعمل المس في كل ما يصيب الإنسان ويلحقه من أذى بأدنى الضرر، فالتعبير به هنا يشعر القارئ بخفة الإصابة التي تصيب الإنسان من فقر أو مرض أو نحوهما.

وفي إسناد المساس إلى الشر بعد إسناد الإنعام إلى ضمير الجلالة إيذان بأن الخير مراد بالذات والشر ليس مراده تعالى، وأن كان بخلقه وايجاده؛ بل هو بسبب إعراض الخلق عن هدى القرآن. (ينظر: أبو السعود، د.ت، 191/5. والطنطاوي، 1998م، 418/8).

والهدف من مجيء الإنسان مرتين بظاهر اللفظ مرة وبضمير الغائب مرة أخرى هو التوبيخ والتبكيت لهذا الجاهل الآيس من رحمة الله تعالى.

و (أل) في (الإنسَانِ) للجنس، أي: أن جنس الإنسان تبطره النعمة وتطغيه، وتؤنسه النعمة وتضعفه، فهذه طبيعة الإنسان إلا من هداه اللَّه تعالى بالصبر والإيمان، ويجوز أن تكون (أل) للعهد، والمقصود ما دل عليه آخر الآية السابقة وهو الظالم الذي لا يزيده علم القرآن إلا خسارًا، وبيان أن هذه طبيعته الضالة التي جانف بها الفطرة، ومال عنها (ينظر: أبو زهرة، د.ت، 4443/8)، فإذا أخذنا باعتبار العموم؛ تكون (أل) جنسية، وإذا أخذنا باعتبار سياق الآيات؛ تكون (أل) عهدية.

يقول الشعراوي: ".. وإن سأل سائل لماذا ييأس الإنسان ويقنط؟ لأنه في حال النعمة أعرض عن الله، ونأى بجانبه: أي ابتعد عن ربه، لم يَعُدْ له مَنْ يدعوه ويلجأ إليه أن يُفرّج عنه ضيق الدنيا. إذن: لما أعرض في الأولى يَئِس في الثانية، والله تعالى يجيب مَنْ دعاه ولجأ إليه حال الضيق حتى إنْ كان كافراً"(الشعراوي، 1997م، 8715/14-8716).

ويقول أيضًا:" الله تعالى يريد أن يعطي الإنسان صورة عن نفسه؛ لتكون عنده المناعة الكافية إذا ما أصابه المرض، كما يعطي الطبيب جَرْعة الطُّعْم أو التحصين الذي يمنع حدوث مرض ما. فها هي طبيعة الإنسان وسِمَتُه الغالية، وعليه أنْ يُخفِّف من هذه الطبيعة، والمراد أن الإنسان إذا أنعم الله عليه استغنى وأعرضَ"(الشعراوي، 1997م، 8716/14).

رابعًا: علاقة صفة اليأس بالوحدة الموضوعية لسورة الإسراء:

ذكرنا أن الوحدة الموضوعية لسورة الإسراء تمثلت في **الاعتصام بالقرآن الكريم والتَّثبُّت به في مواجهة الأعداء**، ووجه علاقتها بقوله تعالى:" وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ ئَُوسٗا [الإسراء: 83] أن هذه الآية تختبر الإنسان في مدى تمسكه بالقرآن الذي جاء هاديًا وشافيًا للناس، ومن هنا يتبيّن مدى تثبيته وخلافه؛ فالضال الغير مهتدي بهدى القرآن والغير مستشفي بنور الإيمان تجده آيس قانط عند مس أي ضرر ويتبطر ويتختر عند النعمة، فيسقط أمام الامتحان الإلهي، وينهزم أمام عدوه، ومن هنا كان البيان الإلهي لإنقاذ الإنسان نفسه من قبل أن يقع في يد عدوه، أما المؤمن المطمئن بنصر الله سبحانه لا ييأس من هزيمته أمام عدوه، ولا من نصر الله سبحانه، بل يظل مؤمنًا واثقًا بنصر الله جل شأنه وإن استبطأ أسباب النصر.

المبحث الرابع: دلالة صفة القتروعلاقتها بسورة الإسراء

- **أولًا: دلالة مادة (القتر) في اللغة:**

"القَتْرُ: الرُّمْقَةُ في النفقة، قَتّر تقتيرًا، وهو قَتور مُقَتِّر. وأقْتَر الرجل: إذا أقلّ؛ فهو مُقتِر. وقَتَرَ الرجل وأقْتَر: إذا ضيّق على أهله في النفقة"(الصاحب، 1993م، 360/5. زين الدين، 1999م، 786/2) ، وهو أصل صحيح يدل على التجميع والتضييق (ينظر: ابن فارس، 1979م، 55/5)، والقَتور؛ البخيل المضيّق الممسك (ينظر: عمر، 2008م، 1774/3)، والقَتور: البخل المجبول على الشح (ينظر: الجمل، 2008م، 307/3).

وفي قوله:"وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا" [الإسراء: 100] تنبيه على ما جبل عليه الإنسان من البخل. (الراغب الأصفهاني، 1412هـ، ص:655).

ذكر في التحقيق:" فالإنسان بطبيعته الأوّليّة البدنيّة قتور، أي مائل إلى تضييق نفسه بقيود مادّيّة وتمايلات وعلائق دنيويّة، ولا يختار لنفسه الانطلاق، والعيش الروحاني المنبسط، وسعة القلب"(المصطفوي، 1385هـ، 192/9).

وقال الشعراوي: "والبخل يكون على الغير، فإنْ كان على النفس فهو التقتير" (الشعراوي، 1997م، 8774/14).

ثانيًا: دلالة سياق الحديث عن صفة القتور:

وجاء قوله:" قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا" [الإسراء: 100] في سياق بيان تعنت الكفار واصرارهم على الجحود والعناد حين طلبوا إجراء الأنهار والعيون في بلدتهم؛ لتكثر أموالهم وتتسع عليهم معيشتهم: "وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعٗا" [الإسراء: 90]؛ فبين الله تعالى لهم أنهم لو ملكوا خزائن رحمة الله لبقوا على بخلهم وشحهم، ولما أقدموا على إيصال النفع إلى أحد.

وجاء بعدها قوله تعالى:" وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ فِرۡعَوۡنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا" [الإسراء: 101] وفيه إشارة إلى أنه كما آتى الله بني إسرائيل من قبل آيات بينات ومع ذلك لم يؤمنوا، فكذلك الحال بالنسبة للكفار، فلو أتاهم الله ما أتاهم من الخوارق التي طلبوها لن يؤمنوا، وفيه تهديد للكافرين بأن يحل بهم ما حل بالمكذبين من الأمم السابقة.

ثالثًا: دلالة الآية التي ورد فيها صفة القتور:

الواو في قوله: "وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا" [الإسراء: 100] حالية، والتعبير بـكان يفيد رسوخ هذه الصفة في النفس الإنسانية كونها من الطبائع الجبلية، وصيغة (قتورًا) فيها مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشيء، وتفيد الثبوت.

وقد جاءت جملة -"وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا" - تأكيدًا لما جُبل عليه الإنسان من صفة القتر النابعة من النفس، ذكرها سبحانه في هذا الموضع:" قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا" [الإسراء: 100] تنبيهًا للإنسان وامتحانًا له، وليأخذ بوسائل معالجتها وترويضها حسب ما أمر به القرآن؛ فالقرآن الكريم أمر بالاعتدال في النفقة، ونهى عن البخل في آيات عدة؛ فمثلًا في قوله تعالى عند الثناء على عباد الرحمن في آية ٦٧ من سورة الفرقان ذكر بأنهم لم يقتروا في النفقات "وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا"، وجاء في سورة الإسراء - موضع بحثنا – قوله تعالى: {ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا} [سورة الاسراء:٢٩] مما يظهر الترابط الموضوعي في السورة حيث نهت عن البخل تهذيبًا لصفة القتور التي جبل عليها الإنسان.

وفي الآية إخبار عن طبع الإنسان وعادته في جمع الأموال؛ فإنه إذا استكثر من الأموال يزداد حرصًا على جمع المزيد، ويمسك عن الإنفاق أكثر من ذي قبل.

وإنَّمَا جبل الله الناس وأنشأهم هكذا؛ ليمتحنهم بالجود والتوسيع، والبخل والتضييق.

والأصل في الإنسان البخل؛ لأنه خلق محتاجًا، والمحتاج لا بد وأن يحب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة، ولأنه بالنسبة للدنيا يخشى النفاد، ويحرص على أن يبقى لنفسه في كل الأزمان، وهو لَا يحض على طعام المسكين خشية الفقر، وهذا في طبع الإنسان، ويمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود لأسباب خارجة مثل أن يحب المدحة أو رجاء ثواب، فحاجة الإنسان وشعوره بالافتقار إلى الأشياء هما العنصران الأساسيان المسؤولان عن حرصه وتقتيره وشحه، وبعد أن تولد هذه الأمور في نفسه تصير هذه الصفات عناصر أساسية مستقلة، سواء رافقها الشعور بالافتقار والحاجة أم لم يرفقها هذا الشعور، فثبت بها أن الأصل في الإنسان البخل، وأيضا ذكر هذا المعنى في أسلوب بيان ما فطر عليه الإنسان، تذكيرًا له بنقصه وضعفه، وإشفاقه وحرصه، ليعلم أنه غير مخلوق سدى، يخلّى بينه وبين ما تتقاضاه به نفسه وهواه.

(ينظر: الرازي، 1420هـ، 412/21. والماتريدي، 2005م، 120/7. القاسمي، 1418هـ، 518/6. وأبو زهرة، د. ت، 4467/8. والخازن، 1415هـ، 148/3. والآلوسي، 1415هـ، 171/8. والميداني، 1999م، ص:382).

رابعًا: علاقة صفة القتور بالوحدة الموضوعية لسورة الإسراء:

ذكرنا أنّ محور سورة الإسراء يدور حول التثبيت بالقرآن الكريم لمواجهة أعداء الإسلام، و أبرزهم؛ الصراع بيننا وبين بني إسرائيل المشهورين بالبخل والتقتير، فأوقعتهم تلك الصفة في الذل والاهانة، فكان في ذلك تحذير للمسلمين ألا يقعوا بمثل ما وقعت به بنو إسرائيل، فالتقتير يمنع النفس عن إيصال النفع لها وللآخرين ممّا يفكك الروابط الاجتماعي ويضعف الصف المسلم.

النتائج :

1. توصلت الدراسة إلى أن المحور الرئيس الجامع لموضوعات سورة الإسراء هو الاعتصام بالقرآن الكريم والتثبت به في مواجهة الأعداء، وقد انفردت السورة بالحديث عن المسجد الأقصى، وفي ذلك إشارة إلى أهمية صراع هذه الأمة مع بني إسرائيل لتحقيق الوراثة الإيمانية.
2. أكثرت سورة الإسراء من ذكر الإنسان، وذكرت من صفاته: (العجل، والكفر، واليأس، والقتر)؛ لأنّ الإنسان هو مادة نصر هذه الأمة، ولكل صفة من هذه الصفات أثر في تحقيق محور السورة.
3. **العجلة** هي طلب الشيء وتحريه قبل أوانه، ويقابلها الصبر، وبما إن السورة تمحورت حول تثبيت المسلم أمام أعداءه؛ فإن من أهم ركائز التثبيت بالإضافة إلى الاعتصام بالقرآن الكريم هو الصبر وعدم العجلة؛ لذلك حذرت السورة من صفة العجلة.
4. **الكفر** هو تغطية وستر نعمة المنعم وجحودها، وقد حذرت السورة من هذه الصفة؛ لأنها تنافي الهدف الرئيسي للسورة من الاعتصام بهدي القرآن والتثبت به، فالكفر والجحود يمثلان الانحراف عن التوحيد والاعراض عن هدي القرآن.
5. **اليأس** هو انقطاع الأمل وانتظار الشيء وانتفاء الطمع، وقد حذرت السورة من صفة اليأس الذي ينافي ما ركزت عليه السورة من التثبت والاعتصام، فالإنسان الغير مهتدي بنور القرآن والإيمان تجده آيس قانط عند مس أي ضرر فيسقط في الاختبار الإلهي وينهزم أمام عدوه، أما المؤمن فيظل صامتًا أمام العدو، واثقا مطمئنًا بنصر الله سبحانه، وإن استبطأ أسباب النصر.
6. **القتر** هو البخل والتضييق على النفس، وقد ركزت السورة الحديث عن الصراع مع بني إسرائيل المشهورين بالبخل والتقتير، وقد أوقعهم ذلك بالذل والإهانة؛ لذلك حذرت السورة من صفة القتور.

التوصيات: يوصي الباحثان بأهمية دراسة جميع صفات الإنسان في القرآن؛ لتعميق فهم الطبيعة الإنسانية من منظور قرآني دراسة قرآنية شاملة للدلالات الأساسية، من بيان دلالة الصفات لغة، ثم تحليل مواضعها وسياقاتها، وصولًا إلى بيان علاقتها بالوحدة الموضوعية للسور التي وردت فيها.

المصادر والمراجع

إبراهيم، ح. (د.ت). *معجم الأوزان الصرفية للقرآن الكريم*. (د.ط). القاهرة: دار ابن تيمية. د.ت.

الأزوري، أ. (2023). الأحكام التكليفية للعلاقات المالية في البيع والشراء. *دراسات: علوم الشريعة والقانون*، 50(1)، 1-18.

الأصفهاني، ر. (502هـ). *المفردات في غريب القرآن*. (ط1). تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دمشق، بيروت: دار القلم، والدار الشامية. 1412هـ

الآلوسي، ش. (1270هـ). *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*. (ط1). تحقيق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ.

البخاري، م. (1422هـ). *الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري*. (ط1). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. بيروت: دار طوق النجاة. 1422هـ.

البقاعي، إ. (885هـ). *نظم الدرر في تناسب السور*. (د.ط). القاهرة: دار الكتاب الإسلامي. د.ت.

جبل، م. (2010م). *المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم*. (ط1). القاهرة: مكتبة الآداب.

الجمل، ح. (2003م). *معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن*. (ط1). مصر: الهيئة المصرية للكتاب.

حجاري، م. (د.ت). *التفسير الواضح*. (ط10). بيروت: دار الجيل الجديد. 1413هـ

ابن حجر، أ. (852هـ)، *فتح الباري بشرح البخاري*، (ط1)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، مصر: المكتبة السلفية، 1380هـ-1390هـ

حمدان، س. (2024). المنهج القرآني في التزكية: آيات حد الزنا أنموذجًا. *دراسات: علوم الشريعة والقانون*، 51(4)، 156-168.

حوى، س. (د.ت). *الأساس في التفسير*. (ط6). القاهرة: دار السلام. 1424هـ

أبو حيان، م. (745هـ). *البحر المحيط في التفسير*. (د.ط). تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر. 1420هـ.

الخازن، ع. (741هـ). *لباب التأويل في معاني التنزيل*. (ط1). تحقيق: محمد علي شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ.

الخطيب، ع، (1390هـ). *التفسير القرآني للقرآن*. (د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي. د.ت.

الداني، ع. (444هـ). *البيان في عد آي القرآن*. (ط1). تحقيق: غانم قدوري. الكويت: مركز المخطوطات والتراث. 1414هـ
دروزة، م. *التفسير الحديث*. (د.ط). مصر: دار أحياء الكتب العربية. 1383هـ
الرازي، م. (606هـ). *مفاتيح الغيب*. (ط3). بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ
راضي، إ. (2024). تفسير آية الإكراه من سورة النحل: دراسة تحليلية. *دراسات: علوم الشريعة والقانون*، 51(1)، 122-133.
أبو رمان، ج. (2023). ثناء القرآن على مَن آمن مِن أهل الكتاب دراسة استقرائية موضوعية في سورة آل عمران. *دراسات: علوم الشريعة والقانون*، 50(3)، 132-145.
الزحيلي، و. (د.ت). *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج*. (ط2). دمشق: دار الفكر المعاصر. 1418هـ
الزركشي، ب. (794هـ). *البرهان في علوم القرآن*. (ط). تحقيق: أبي الفضل الدمياطي. القاهرة: دار الحديث. 1427هـ-2006م.
الزمخشري، م. (538هـ). *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*. (ط3). بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ
أبو زهرة، م. (1394هـ). *زهرة التفاسير*. (د.ط). دار الفكر العربي. د.ت.
السامرائي، ف. (د.ت). *معاني النحو*. (ط1). عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع. 1420هـ-2000م.
أبو السعود، م. (982هـ). *إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*. (د.ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت.
السيوطي، ع. (911هـ). *تناسق الدرر في تناسب السور= أسرار ترتيب القرآن*. (د.ط). تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، و مرزوق علي إبراهيم. القاهرة: دار الفضيلة للنشر والتوزيع. 2002م.
شحاتة، ع. (د.ت). *أهداف كل سورة ومقاصدها في القران الكريم*. (د.ط). مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1979م.
الشعراوي، م. (1418هـ). *تفسير الشعراوي – خواطر*. (د.ط). القاهرة: مطابع أخبار اليوم. د.ت.
الشيباني، أ. (241هـ). *مسند أحمد*. (ط1). تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة.1421هـ-2001م.
الصاحب، إ. (385هـ). *المحيط في اللغة*. (ط1). تحقيق: محمد آل ياسين. بيروت: عالم الكتب. 1993م.
الطنطاوي، م. (د.ت). *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*. (ط1). القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر. 1998م.
طهماز، م. (2010). *التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم*. (ط2). دمشق: دار القلم. 1435هـ-2014م.
ابن عاشور، م. (1393هـ). *التحرير والتنوير*. (د.ط). تونس: دار التونسية للنشر. 1984م.
ابن عطية، ع. (542هـ). *المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*. (ط1). تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. 1422هـ.
ابن فارس، أ. (395هـ). *معجم مقاييس اللغة*. (د.ط). تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر. (1399هـ-1979م). الفيروزآبادي، م. (817هـ). *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز*. (د.ط). تحقيق: محمد علي النجار. القاهرة: المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي. د.ت.
القاسمي، م. (1332هـ). *محاسن التأويل*. (ط1). تحقيق: محمد باسل عيون السود. بيروت: دار الكتب العلمية .1418هـ
القنوجي، م. (1307هـ). فتحُ البيان في مقاصد القرآن. (د.ط). بيروت: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر.1412هـ -1992.
الكرجي، م. (360هـ). *نُكَت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام*، (ط1). تحقيق: علي التويجري وآخرون، الدمام: دار ابن القيم، والقاهرة: دار ابن عفان. 1424هـ-2003م.
الماتريدي، م. (333هـ). *تأويلات أهل السنة*، (ط1). تحقيق: د.مجدي باسلوم، بيروت: دار الكتب العلمية. 1426هـ-2005م.
مختار، أ. (2008م). *معجم اللغة العربية المعاصرة*. (ط1). عالم الكتب.
مصطفى. إ. أ.ح. م. (1972م). *المعجم الوسيط*. (ط2). القاهرة: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
مصطفوي، ح. (1426هـ). *التحقيق في كلمات القرن الكريم*. طهران: وزارة الثقافة والارشاد الإسلامي. 1410هـ
المناوي، ز. (1031هـ). *التوقيف على مهمات التعاريف*، (ط1). القاهرة: عالم الكتب.1420هـ-1990م.
ابن منظور، ج. (711 هـ). *لسان العرب*. (ط3). بيروت: دار صادر. 1414هـ
الميداني، ع. (د.ت). *معارج التفكر ودقائق التدبر*. (ط1). دمشق: دار القلم .1423هـ_2002م.
الميداني، ع. (1999م). *الأخلاق الإسلامية وأسسها*. (ط1). دمشق: دار القلم.
نوفل، أ. (د.ت). *تفسير سورة الإسراء دراسة تحليلية-موضوعية*. (ط1). الأردن: منشورات جمعية المحافظة على القرآن الكريم. 1435هـ-2014م.
الهيثمي، ن. (807هـ). *مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*. (د.ط). تحقيق: حسام الدين القدسي. القاهرة: مكتبة القدسي. 1414هـ-1994م.

References

Abdul Rahman, I. R. (2024). Interpretation of the Verse of Compulsion from Surat Al-Nahl: An Analytical Study. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences, 51*(1), 122–133.

Abou Romman, J. A. S. . (2023). Praising the Holy Qur'an for Those who Believed among the People of the Book: An Inductive Objective Study in Al-I'mran Surah. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, *50*(3), 132–145.

Abu Al-Saud, M. (d. 982 H). *Guiding the Sound Mind to the Merits of the Noble Book*. (n.ed.). Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi. n.d.

Abu Hayyan, M. (d. 745 AH). *The Vast Ocean in Interpretation*. Ed. Sidqi Muhammad Jamil. Beirut: Dar Al-Fikr. 1420 AH

Abu Zahrah, M. (d. 1394 AH). *The Flower of Interpretations*. Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Alusi, S. (d. 1270 AH). *The Spirit of Meanings in Interpreting the Great Quran and the Seven Oft-Repeated Verses*. (1st ed.). Ed. Ali Abdul Bari Atiyah. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. 1415 AH.

Al-Asfahani, R. (d. 502 AH). *Vocabulary of Unusual Words in the Quran*. (1st ed.). Ed. Safwan Adnan Al-Dawoodi. Damascus & Beirut: Dar Al-Qalam & Al-Dar Al-Shamiyyah. 1412 AH.

Alazwari, A. B. M. . (2023). Mandated Provisions for Financial Relations in Buying and Selling. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, *50*(1), 1–18.

Al-Biqa'i, I. (d. 885 AH). *The Arrangement of Pearls in the Correlation of Chapters*. Cairo: Dar Al-Kitab Al-Islami.

Al-Bukhari, M. (1422 AH). *The Authentic Collection of Prophetic Traditions*. (1st ed.). Ed. Muhammad Zuhair bin Nasir Al-Nasir. Beirut: Dar Tawq Al-Najat.

Al-Dani, O. (d. 444 AH). *The Explanation in Counting Quranic Verses*. (1st ed.). Ed. Ghanim Qadduri. Kuwait: Center for Manuscripts and Heritage. 1414 AH.

Al-Firuzabadi, M. (d. 817 H). *Insights of the Discerning into the Subtleties of the Mighty Book*. (n.ed.). Ed: Muhammad Ali Al-Najjar. Cairo: Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for Revival of Islamic Heritage. n.d.

Al-Haythami, N. (d. 807 H). *Collection of Additional Narrations and Source of Benefits*. (n.ed.). Ed: Husam Al-Din Al-Qudsi. Cairo: Al-Qudsi Library. 1414 H-1994.

Al-Jamal, H. (2003). *Linguistic Dictionary and Interpretation of Quranic Words*. (1st ed.). Egypt: Egyptian Book Authority.

Al-Karaji, M. (d. 360 H). *Quranic Points Indicating Clarity in Types of Sciences and Rulings*. (1st ed.). Ed: Ali Al-Tuwaijri et al. Dammam: Dar Ibn Al-Qayyim, and Cairo: Dar Ibn Affan. 1424 H-2003.

Al-Khatib, A. (d. 1390 AH). *The Quranic Interpretation of the Quran*. Cairo: Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Al-Khazin, A. (d. 741 AH). *The Core of Interpretation in the Meanings of Revelation*. (1st ed.). Ed. Muhammad Ali Shaheen. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. 1415 AH.

Al-Maidani, A. (1999). *Islamic Ethics and Their Foundations*. (1st ed.). Damascus: Dar Al-Qalam.

Al-Maidani, A. *Ascensions of Thinking and Minutiae of Contemplation*. (1st ed.). Damascus: Dar Al-Qalam. 1423 H-2002.

Al-Manawi, Z. (d. 1031 H). *The Elucidation of Important Definitions*. (1st ed.). Cairo: Alam Al-Kutub. 1420 H-1990.

Al-Maturidi, M. (d. 333 H). *Interpretations of the People of Sunnah*. (1st ed.). Ed: Dr. Majdi Baslum. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. 1426 H-2005.

Al-Qannuji, M. (d. 1307 H). *The Opening of Clarity in the Objectives of the Quran*. (n.ed.). Beirut: Al-Maktabah Al-Asriyyah for Printing and Publishing. 1412 H-1992.

Al-Qasimi, M. (d. 1332 H). *The Beauties of Interpretation*. (1st ed.). Ed: Muhammad Basil Uyun Al-Sud. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. 1418 H.

Al-Razi, M. (d. 606 AH). *Keys to the Unknown*. (3rd ed.). Beirut: Dar Ihya' Al-Turath Al-Arabi. 1420 AH.

Al-Sahib, I. (385 H). *The Comprehensive Book of Language*. (1st ed.). Ed: Muhammad Al Yasin. Beirut: Alam Al-Kutub. 1993.

Al-Samarrai, F. *Meanings of Grammar*. (1st ed.). Amman: Dar Al-Fikr for Publishing and Distribution. 1420 AH/2000 CE.

Al-Sharawi, M. (d. 1418 H). *Al-Sharawi's Interpretation - Reflections*. (n.ed.). Cairo: Akhbar Al-Youm Press. n.d.

Al-Shaybani, A. (d. 241 H). *Ahmad's Collection of Hadith*. (1st ed.). Ed: Shuaib Al-Arnaout, et al. Beirut: Mu'assasat Al-Risalah. 1421 H/2001.

Al-Suyuti, A. (d. 911 H). *The Harmony of Pearls in the Correlation of Chapters = Secrets of Quranic Arrangement*. (n.ed.). Ed: Abdul Qadir Ahmad Ata and Marzouq Ali Ibrahim. Cairo: Dar Al-Fadilah for Publishing and Distribution. 2002.

Al-Tantawi, M. *The Medium Interpretation of the Holy Quran*. (1st ed.). Cairo: Dar Nahdat Misr for Printing and Publishing. 1998.

Al-Zamakhshari, M. (d. 538 AH). *The Unveiler of the Truths of the Obscurities of Revelation*. (3rd ed.). Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi. 1407 AH.

Al-Zarkashi, B. (d. 794 AH). *The Proof in Quranic Sciences*. Ed. Abi Al-Fadl Al-Dimyati. Cairo: Dar Al-Hadith. 1427 AH/2006 CE.

Al-Zuhaili, W. *The Enlightening Interpretation in Creed, Law, and Methodology*. (2nd ed.). Damascus: Dar Al-Fikr Al-Mu'asir. 1418 AH.

Darwazah, M. *The Modern Interpretation*. Egypt: Dar Ihya' Al-Kutub Al-Arabiyyah. 1383 AH.

Hamdan, S. A. M. (2024). The Qur'anic Approach to Purification: Verses Punishing Adultery as an Example. *Dirasat: Shari'a and Law Sciences*, *51*(4), 156–168.

Hawwa, S. *The Foundation in Interpretation*. (6th ed.). Cairo: Dar Al-Salam. 1424 AH.

Hijazi, M. *The Clear Interpretation*. (10th ed.). Beirut: Dar Al-Jeel Al-Jadeed. 1413 AH.

Ibn Ashur, M. (d. 1393 H). *Liberation and Enlightenment.* (n.ed.). Tunisia: Al-Dar Al-Tunisiyyah for Publishing. 1984.

Ibn Atiyyah, A. (d. 542 H). *The Concise Editor in Interpreting the Mighty Book*. (1st ed.). Ed: Abdul Salam Abdul Shafi Muhammad. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah. 1422 H.

Ibn Faris, A. (d. 395 H). *Dictionary of Language Standards*. (n.ed.). Ed: Abdul Salam Muhammad Harun. Beirut: Dar Al-Fikr. (1399 H-1979).

Ibn Hajar, A. (d. 852 AH). *The Creator's Victory: Commentary on Sahih Al-Bukhari*. (1st ed.). Indexed by Muhammad Fuad Abdul Baqi. Egypt: Al-Maktabah Al-Salafiyyah. 1380-1390 AH.

Ibn Manzur, J. (d. 711 H). *The Arab Tongue*. (3rd ed.). Beirut: Dar Sadir. 1414 H.

Ibrahim, H. (n.d.). *Dictionary of Morphological Patterns in the Holy Quran*. Cairo: Dar Ibn Taymiyyah.

Jabal, M. (2010). *The Etymology-Based Dictionary of Quranic Words*. (1st ed.). Cairo: Maktabat Al-Adab.

Mukhtar, A. (2008). *Dictionary of Contemporary Arabic Language*. (1st ed.). Alam Al-Kutub.

Mustafa, I.A.H.M. (1972). *The Intermediate Dictionary*. (2nd ed.). Cairo: Arabic Language Academy in Cairo

Mustafawi, H. (d. 1426 H). *Investigation into the Words of the Holy Quran*. Tehran: Ministry of Culture and Islamic Guidance. 1410 H.

Nawfal, A. *Interpretation of Surat Al-Isra: An Analytical-Thematic Study*. (1st ed.). Jordan: Publications of the Society for the Preservation of the Holy Quran. 1435 H-2014.

Shehata, A. *Objectives and Purposes of Each Chapter in the Holy Quran*. (n.ed.). Egyptian General Book Authority Press. 1979.

Tahmaz, M. (d. 2010). *The Thematic Interpretation of the Holy Quran's Chapters*. (2nd ed.). Damascus: Dar Al-Qalam. 1435 H/2014.